المحور الرابع

المدرسة الوجودية

المحاضرة السابعة :ماهية الفلسفة الوجودية

I- ظروف نشأة الوجودية:

الوجودية تيار فلسفي ظهر في القرن العشرين، نادى بأهميَة وقيمة وجود الفرد الإنساني، وانتشر في ثلاثينيات وأربعينات القرن العشرين، ويمكن القول بأن الوجودية جاءت كردة فعل على مساوئ الحرب العالمية الأولى، والتي خلفت وراءها آلاف القتلى والجرحى، ممّا جعل مفكري ذلك العصر يبحثون عن فكر أو تيار يعيد للإنسان قيمته، ويعزز أهمية وجوده، فقاموا بنشر أفكارهم عبر المسرح، والأدب، والشعر، حتى أصبح من أشهر التيارات الفلسفية الإنسانية في أوروبا .

إن معظم الفلسفات قد ظهرت ونشأت بسب العديد من الظروف، وهنا نجد الفلسفة الوجودية كذلك قد تضافرت مجموعة من الظروف والأوضاع التي ساعدت على ظهورها .فمن بين أهم ظروف انتشارها نجد تلك الأحداث المروعة والمفجعة التي حلت بالناس من جراء قيام الحرب العالمية، فقد شهد العالم حربين عالميتين عملت على إنهاك قواه وبعثرة موارده وطاقاته، وقضت على آماله وتطلعاته نحو المستقبل، وما خلفته من ضحايا وكوارث وأهوال أصابت البشرية كلها بالدمار والخراب، وجو الخوف والرعب والفزع والقلق ، والشعور بنوع من الانهيار والضياع لكافة القيم والمثل الذي صبغ حياة الإنسان خلال عدة أعوام التي عرفتها البشرية .وهذا ما نتج عنه الفكر الإنساني الذي رفض النظر المجرد والأنساق الفلسفية التقليدية وجعل تحول النظر إلى الإنسان نفسه وإلى مشكلاته ومصيره في هذه الظروف التي تهدد وجوده .كما أن الوجودية نشأت كحركة احتجاج ومعارضة على الإغراق في التصورات العقلية، كما هو الشأن عند "هيجل" الذي يرد الوجود إلى الماهية المجردة فيتغاضى بذلك عن كل ما فيه من ذاتية وفردية .فالوجودية ظهرت ونشأت من أجل إبراز قيمة الوجود الإنساني ومعناه، وهذا ما قام به فلاسفتها، كما ظهرت كرد فعل على تسلط الكنيسة وتحكمها في الانسان باسم الدين ومحاربتها للعلم .كما أن التقدم العلمي الهائل، وما ترتب عنه من آثار اجتماعية كبيرة وخطيرة كان أهم العوامل في ظهور الأفكار الوجودية وانتشارها.

II-التربية في الفلسفة الوجودية.

1- مفهوم التربية:

إن تأكيد الحرية الحقيقية وأصالة الفرد هي الرسالة الحيوية للوجوديين التي تقدمها فلسفة التربية اليوم. فالوجودية تمثل اتجاها أو ثورة في مجال التربية أو ضد شكلية التعليم ونمطية المدارس ومهمة التربية. والتربية من وجهة نظر الوجودي هي إيجاد المناخ الحر للتلميذ ليعمل أعمالا حيوية لتحقيق ذاتيته. فالتربية الوجودية عملية إحاطة الفرد بالموقف الذي يوجد فيه إحاطة كاملة. وهذا يعني ضرورة الحديث عن الفرد والإنسان كلا متكاملا، وعدم عد الأفراد

منفصلين عن المواقف التي يوجدون فيها. فالرجل أو المرأة أو الطفل يحددون الزمان أو المكان والبيئة التي ولدوا فيها. فالتربية عملية فردية لتحقيق ذاتية الفرد، وإن هدف التربية هو تحقيق الذات.

2- الأهداف التربوية:

إن التربية الوجودية تهتم في الأساس بالتربية الحرة، أي تحرير الإنسان من عزلته ووحدته وتحرير عقله من الفوضى التي تقف في طريق رؤيته لموقعه وإمكاناته. فالهدف التربوي هو تحقيق بناء الشخصية الواعية الحرة والمسؤولة التي تحقق ذاتها من خلال مواقف الحياة التي يمر بها الإنسان والتي يعايشها ويعانيها. وتنظر الوجودية إلى الأهداف التربوية من خلال نظرتها للطبيعة الإنسانية إذ تتمثل ببناء الشخصية الواعية الحرة المسؤولة الملتزمة التي تحقق ذاتها من خلال المواقف التي تحياها ومكانتها لتشجيع الطفل على الاستغراق الفعلي والوجداني والمعاناة الحقيقية للمواقف التي يعيش فيها أو للمادة الدراسية. وتشجيع الأطفال على التفلسف في معنى الخبرة الإنسانية في الحياة والحب والموت وتربيتهم ككل، وتنمية جوانبهم المتعددة المتكاملة وليس جانبا واحدا منه فقط من خلال المواقف المعاشة، وتحقيق الذات عن المؤثرات والضغوط الاجتماعية لئلا يفقد نفسه، إذ يتم التأكيد الشديد على الحرية الحقيقية وعلى أصالة الفرد.

إن أهم ما قدمته الوجودية للتربية هو تأكيد الحرية الحقيقية للطالب، وتأكيد أصالته. وأن الهدف الأساس الذي يضعه أمام نفسه هو أن التفكير الذاتي ضروري، وذلك لأنه تحقيق لذاته، وإنه بإمكان الطالب أن يكون حرا، وأن يعيش في وفاق مع الجماعة التي تنتمي إليها.

المهم في رأي الوجودية أن يتعلم الطالب الكيفية التي يستطيع بها تنمية مبادئه الشخصية، وأن ينمي في ذاته الشعور بالكبرياء والاندماج في الجماعة، والخضوع لقيادتها. وترى إنه من الضروري أن يدرك أن الإحباط والصراع حالتان غير مرغوب فيهما، وينبغي تحسينهما. وترى هذه الفلسفة أن الطفل مخلوق مفعم بالمشاعر والفكر، وإن أي جانب يريد معرفته ينبغي أن يربطه بكيانه الشخصي، حتى يتوصل إلى فهم أكثر اكتمالا مع طبيعته الخاصة.

إن وظيفة المعلم الوجودي تتحدد في تقديم المساعدة الشخصية في سعيه إلى تحقيق ذاته. وترى الوجودية أن المعلم الصالح هو الذي يعمل بنفسه فاعلا حرا، وإن تأثيره ينبغي ألا يكون مؤقتا بل يتعدى ذلك إلى حياة الراشدين. وتطالب الوجودية المعلم أن يشجع الطالب على الانصراف إلى عمله، وأن يتأمل كل جانب من جوانب البناء المعرفي إلى أن يحوله إلى جزء من كيانه الشخصي. وهي بهذا الطريق لا تؤكد طبيعته الحقيقية بقدر ما تؤكد طبيعته للتعلم، وذلك يعزى إلى أن الإنسان أكثر أهمية من المعرفة، وأنها موضوعة لتكون في خدمة هدف الإنسان. وترى أيضا أن

مهمة المعلم هي إثارة ميل الطالب وذاته ومشاعره، وأن يجعل الطريقة التي يستعملها الطالب في التعلم محاولة لربط ما يسعى أن يتعلمه.

إن الوجودية تضع أمام المعلم ثلاث مهمات ينبغي أن ينميها في شخصية الطلبة، وهي عادات عقلية ثلاث: النظام والقدرة على الإنتاج الخصوبة، وأن تكون تنمية هذه العادات العقلية طوال العملية التربوية والتعليمية. وعلى هذا الأساس لفتت انتباه المعلم إلى عملية تقويم الطالب، ويتم ذلك من خلال شعور الطالب بالنظام وقدرته على تنظيم الأفكار.

ومن الموجهات التي تقترحها الوجودية، وتطالب الطالب الالتفات إليها، أن يسعى على الدوام إلى معرفة ما يرغب الوصول إليه. وأن يكون في الوقت ذاته عارفا بالمبادئ الأساسية، وهي بالتأكيد المبادئ الوجودية، التي يستند إليها في حياته. وأن ينتفع من المنهج الدراسي الذي يوفر له الوقوف على المعرفة الحقيقية، والذي يمكنه من القدرة على النقاش والنقد والتحليل، ويشجعه على إجراء أبحاثه وتجاربه التي تنمي شخصيته المستقلة، وتسهل له المشاركة بفاعلية في جميع المواقف التي تواجهها، وتيسر له السبيل في حل المشكلات التي تعترض طريقه.

و قد أكد الوجوديون على الدور الذي توفره العائلة للطالب (أو الطفل)، ورأوا أن البيت إذا فشل في تنمية ذات حقيقية ومستقلة للطفل، فإنه سيميل إلى التطابق مع اتجاهات وتوقعات زملائه في المدرسة.

ودعت في الوقت ذاته إلى توسيع أفق المحيط المدرسي، وأن يكون من واجب المعلم والمدير أن يضعا في متناول كل طالب حالات وظروفا مختلفة تسهم في توفير فرص للطالب ليختار الخبرات التي يرى أنها تعمل على تكوين ذاتيته..

وباختصار يمكن تلخيص الأهداف الهامة عند الفلسفة الوجودية في :

- تنمية الوعي الفردي
- إتاحة الفرصة للاختبارات الأخلاقية غير المقيدة .
- تنمية المعرفة الذاتية أو معرفة الذات .تنمية الإحساس بالمسؤولية الذاتية .
- إيقاظ الشعور بالالتزام الفردي .

3- المنهج التربوي الوجودي:

تنظر الوجودية إلى المنهج التربوي من خلال الخبرات والموضوعات التي تنبع من الحوار الفلسفي، وهي موضوعات ذات طابع حيوي تعد الطفل ليكون قادرا على حسن الاختيار، لأن الاختيار ذاتي فإن هذه الموضوعات تتنوع بين عاطفية وجمالية وشعرية (علوم إنسانية).

وتبرز حالات الاختبار وتكشف طبيعة الإنسان وتفسيرها وصراعه مع الحياة والآخرين من أجل تحقيق الذات الحرة، إذ يعبر عن ذاته ويجسد عواطفه ومشاعره ويتفاعل مع المواقف لا مجرد سرد وقائع وأحداث تاريخية.

ويعد المنهج بنظر الوجودية الركيزة الأساسية التي من طريقها يتحقق الهدف، والمنهج يعالج قضية المشكلات المهمة التي تفتقدها هذه الفلسفة، وهي قضايا مثل العزلة، والفردية والمعرفة، وقضية القيم، وقضية الموت الذي يعد أهم حدث في حياة الإنسان، وليس مجرد حادثة سلبية، بل هو حقيقة إيجابية. ومن المواد الدراسية التي تؤكدها الوجودية في مناهجها الدراسية، الموارد التي تربط التلميذ بالعالم الخارجي الذي هو مجال الحرية والممارسة والاختيار، فعن طريق هذه المواد يستطيع التلميذ أن يتعرف إلى العالم الخارجي حتى يحقق هدفه، وإخضاع المادة الدراسية للطالب بدلا من إخضاعه لها لأن المادة الدراسية وسيلة لتنمية الذات لا غاية.

فالوجوديون لا يحبذون منهجا متمركزا حول المادة ، فالمادة الدراسية بالنسبة لهم ليس لها قيمة في حد ذاتها ، وأيا كان ما يدرسه الفرد فإنه يعتبر وسيلة يستطيع الفرد من خلالها أن ينمي معرفته بذاته ومسؤوليته الذاتية .والمنهج الذي يحضى احترام الوجوديين هو المنهج الذي يقوم على الدراسات الإنسانية .التي عن طريقها يستطيع الطالب أن يقف على تأملات أعمق للعقول البشرية في الموت والذنب والعذاب ، الحب والزهد ، الحرية والفناء والفرح والزهد .

فالمنهج المثالي في نظر الوجودية هو الذي يؤكد على :

- النشاط.
- اهتمامات التلميذ والحاجات القريبة والعاجلة .
- الحرية الكاملة للتلميذ للعمل فرديا أو في جماعات .
- الاعتراف بالفروق الفردية في الخبرات .

4- طرائق التدريس الوجودية:

ترفض الوجودية طرائق التدريس القائمة على الحفظ والتلقين وتخريج الطلاب على صورة واحدة. وذلك لأنها لا ترى في العمل التربوي شبيها بالمصنع الإنتاجي، ونادت بالمقابل "بنظام يطور الفرد كلا، ويعطيه الحرية المطلقة في اكتشاف حقول المعرفة المختلفة".

وتشجع الوجودية طرائق التدريس التي تستخدم الطريقة السقراطية فهي من الطرق المثالية في التربية. وذلك لأن في هذه الطريقة إمكانيات تساعد الطالب على أن يتعلم ما يعتقده شخصيا أنه حق. وأنها في الوقت ذاته الطريقة التي تمكن المعلم من حمل الطالب على التفكير فيما يؤمن به من معتقدات.

كما يرفض الوجوديون طريقة حل المشكلات التي تنادي بها البرغماتية والتقدمية على أساس أن هذه الطريقة تؤكد على دور الفرد ككائن اجتماعي وتغفل النزعة الفردية لديه .

فالوجودية تؤمن بأن أسلوب التعليم الأفضل هو التعليم الفردي، ولذلك فهم يرفضون إتاحة الفرصة للجميع بالطريقة نفسها وبالسرعة نفسها، وإنما يسعى أن يسمح النظام التعليمي بتنوع في الطرائق والتنظيم حتى يفي بمتطلبات الأفراد.

ويؤكد الوجوديون على أهمية اللعب ، لأنه يساعد الفرد على إطلاق العنان لابتكاريته .

المعلم :

يرفض الوجوديون المفاهيم التقليدية الخاصة بالعلاقة بين المعلم والتلميذ وترى بأن وظيفته الأساسية هي مساعدة كل طالب بصورة فردية في رحلته نحو تحقيق الذات ، إن تأثير المعلم جيد على الطالب يمتد إلى حياته الراشدة .ويجب على المعلم أن يبتعد عن إذلال تلميذه أو يجعله موضع سخرية باقي الفصل حتى لو ارتكب ذنبا كبيرا ، وإنما عليه أن يوضح له خطأه وإذا اضطر لمعاقبته فيكون ذلك بطريقة تحفظ له كرامته واحترامه ، كما على المعلم ألا يوخ التلاميذ الأكثر تخلفا ، بل عليه أن يحفظ كرامتهم ، لأن أهمية التربية بالنسبة لهم كما هي بالنسبة لباقي التلاميذ ليست بمقدار ما يتعلمونه وإنما في كيفية الاستفادة مما تعلموه حتى ولو كان قليلا .وإذا استطاع التلاميذ استخدام المعلومات القليلة التي اكتسبوها في زيادة حريتهم الشخصية ومعرفتهم لأنفسهم فإنهم يكونوا قد فعلوا الشيء المرغوب والسليم .

المحاضرة الثامنة :

أهم رواد الوجودية

جان بول سارتر: (1905م_ 1980م).

جان بول سارتر فيلسوف وأديب فرنسي، ينتسب إلى المذهب الوجودي ولد في باريس في11 يونيو 1905بباريس ، تلقى سارتر تعليمه في مدرسة المعلمين العليا وتخرج منها سنة 1929م، مارس تدريس الفلسفة بين عامي(1945/1931)ومن خلال هذه الفترة اشترك في الحرب العالمية جنديا ، ثم أسير حرب عام 1940م، .وما إن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها حتى كانت شهرة سارتر قد طارت بوصفه "زعيم الفلسفة الوجودية " حيث توالت في هذه الفترة مسرحياته ورواياته الوجودية التي ضمنت له مكانة خالدة في تاريخ الأدب الفرنسي، إضافة إلى ذلك كانت له مواقف سياسية هامة ، وكان لتزايد اهتمامه بالسياسة واتخاذ عدة مواقف تقرب بينه وبين الحزب الشيوعي الفرنسي ، أثر في تفكيره الفلسفي .توفي سنة 1980

I- مفهوم الوجود عند سارتر

يرى سارتر أن الموجود أو الكائن الحي يصنع نفسه عندما يقف من الأشياء الموقف الخاص به، ويقول سارتر مفسرا لمعنى أن الوجود سابق للماهية "أن الإنسان يوجد أولا ويلاقي نفسه، وينبثق في العالم ويعرف نفسه بعد ذلك ".

أي أن سارتر يحصر مفهوم الوجود في القول بأن وجود الإنسان متقدم على ماهيته، وأنه مطلق في حريته يضع بنفسه بمحض اختياره كيفما يشاء، ويملأ وجوده على النحو الذي يناسبه.

وقد ميز سارتر بين نوعين من الوجود، بحيث اعتبر الوجود الأول: هو الوجود الإنساني الذي يسميه "الوجود لذاته" والثاني: وهو وجود الأشياء والذي يسميه "الوجود في ذاته" وذلك في كتابه الوجود والعدم.

II- الأخلاق عند سارتر

إن الأخلاق في فلسفة سارتر تقوم على الحرية والمسؤولية والشعور بروح الالتزام في اتخاذ المواقف إزاء القضايا المطروحة، وهي دعوة إلى العمل، والتحرر من المألوف لصنع مستقبل البشرية كلها . فجوهر فكرة الأخلاق عند سارتر تكمن في أنها ناتجة عن إرادة الإنسان نفسه، بحيث تكون مجسدة لحريته ومسؤوليته، وهنا يكون الشيء الأهم

بلغة سارتر هو تحمل الإنسان لتبعات تلك الأخلاقيات التي يقوم بها، فالأخلاق هي تعبير واضح عن ازدواجية متناغمة بين كل من الحرية والمسؤولية.

ويميل سارتر كل الميل إلى الأخلاق الواقعية المطبقة أو بتعبير آخر الأخلاق العملية الموجودة في العالم المحسوس والتي يمكن رؤيتها ومعاينتها. الأخلاق بأنها القيم التي يصنعها الإنسان وحده سواء كانت خيرا أو شرا، وكذا ما يفعله من أفعال وما يصدر عنه ومن هنا نتأكد أن الأخلاق عبارة عما يخلقه الإنسان وما يصدره.